***تعريف الجبرية و معتقداتهم، وأهم مبادئهم***

***بحث فى : بقية الفرق المنتسبه للاسلام***

***إعداد / أحمد عبد الحميد مهدى***

***قسم الدعوة وأصول الدين***

***كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية***

***شاه علم - ماليزيا***

***ahmed.mahdey@mediu.ws***

**خلاصة هذا البحث في: الجبرية: معتقداتهم، وأهم مبادئهم**

**الكلمات الافتتاحية: معتقداتهم، مبادئهم، الجبريه**

* ***.المقدمة***

 **الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين ، سوف نقوم في هذا البحث بمعرفة الجبرية: معتقداتهم، وأهم مبادئهم**

* **.*عنوان المقالة***

التعريف بالجبرية، وفرقهم:

الجبرية: ضد الاختيار: وهي نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى، والجبرية فرقة من الفرق المنتسبة للإسلام، وقد نسبت إلى الجبر؛ فقيل: جبرية؛ بسبب ما ذهبت إليه من آراء، وما اعتنقته من عقائد.

وفرقة الجبرية، تدين بعقائد كثيرة، ولها بدع وضلالات وفيرة؛ ولكنها نسبت إلى الجبر؛ لأنه أشهر ما عرفت به، وهو قولها: إن العبد مجبر في فعله ليس له حرية، ولا إرادة، ولا اختيار، ولا قدرة له على فعل ما، وأن الله تعالى، هو فاعل أفعال العبد؛ فنُسِبوا لهذه المقالة؛ لأنها أشنع ما ذهبوا إليه، ولأن الضلال والزيغ فيها أوضح؛ ولأن المذاهب في أفعال العباد، لها شهرتها وصيتها.

الجبرية من حيث أصولها الاعتقادية:

أهم هذه الأصول: القول بالجبر، وإن كان القول بالجبر، ليس وليد هذه الفرقة الضالة، وليست هي أول من ضل به أو ضل فيه؛ فإن القول بالجبر اشتهر عن بعض أصحاب الديانات السابقة من اليهود والنصارى؛ حتى إن أول القائلين به في الإسلام، وهو الجعد بن درهم، قد تلقى هذه المقالة عن يهودي بالشام، فاعتنقها ثم نشرها بين الناس بالبصرة، وقد سمعها عنه الجهم بن صفوان؛ فصار من أكبر دعاتها.

فاليهود قالوا بالجبر، والنصارى كذلك، وسبقهم إلى ذلك المشركون الذين قالوا بالجبر، ونطقوا به على عهد رسول الله وحكاه القرآن الكريم عنهم في أكثر من موضع في مثل قوله تعالى {ﭟ ﭠﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆﮇ} [الأنعام: 148].

فالمشركون، يشركون بالله ويحللون ويحرمون كما يشتهون، ثم يحتجون بالقدر؛ زاعمين أنهم مجبرون على ما يفعلون من شرك وإثم ومعاصٍ؛ وأن ما يفعلونه، إنما هو مشيئة الله تعالى فيه.

إذن فالقول بالجبر، قال به أهل الأديان السابقة، وكذلك قال به المشركون، ثم انتقل إلى البيئة الإسلامية، ولم يكن الجعد بن درهم، أول القائلين به في الإسلام؛ فقد سبق الجعد إلى القول بالجبر بعض الناس على عهد عمر بن الخطاب > وعثمان بن عفان > ولكنا اعتبرنا الجعد بن درهم، أول القائلين بالجبر، من حيث إنه أول من نظم القول به، ومهد له ودعا إليه، ومن ثم جعل منه مذهبًا له مبادئه وله أتباعه.

ونحن لا نعتبر كل مقالة يقول بها فرد مذهبًا، أو نعد ذلك الفرد الذي قال بها فرقة من الفرق، إلا إذا كانت تلك المقالة لها دعاة، وللدعاة أتباع، وقد وضع أصحاب تلك المقالة لمقالتهم قواعد ومبادئ، تميزوا بها فيما ذهبوا إليه عما ذهب إليه الآخرون؛ حينئذ تكون مقالتهم مذهبًا، ويكون القائلون بها فرقة؛ لذلك فنحن قد سمعنا القول بالجبر من بعض أفراد، ولم نعد ذلك مذهبًا.

إذن، هذه الفرقة كانت بدايتها على يد رجل يسمى الجعد بن درهم، أخذ هذه المقالة الضالة، وتتلمذ فيها على يد يهودي اسمه طالوت بن أعصم، ثم نشر الجعد هذه المقالة في البصرة حيث تبعه فيها أناس، ثم جاء تلميذه الأشهر الجهم بن صفوان، فأخذ المذهب عن الجعد وزاد فيه أمورًا سنذكرها -إن شاء الله تعالى- في مبادئ الجهمية، وقد اجتهد هذان الشقيقان في نشر المذهب الضال، حتى قتلهم ولاة المسلمين حدًّا.

مبادئ الجبرية:

للجبرية مبادئ كثيرة، سنشير هنا -إن شاء الله تعالى- إلى أهمها:

المبدأ الأول: وأهم هذه المبادئ وأشهرها عند القوم، وأجمعها لطوائف المذهب: إنما هو مبدؤهم الخاص بأفعال العباد، وأن العباد في أفعالهم مجبرون، وكل ما يصدر عنهم إنما يصدر اضطرارًا؛ فليس لهم إرادة أو قدرة أو اختيار، فالعبد -كما يقولون- كالريشة المعلقة في الهواء، يُسيِّرها الهواء حيث يشاء؛ فكذلك العبد، هو في يد القدر يُسَيِّره حيث يشاء؛ فجميع أفعال العباد اضطرارية، والله تعالى أوجد الفعل في العباد، كما أوجده في الجمادات والنباتات، وإذا نُسبت الأفعال إلى العباد، فإنما تنسب مجازًا باعتبار المحل، ولا تنسب إليه حقيقة؛ كما تنسب الأفعال إلى النبات والجماد كذلك؛ حين نقول: أثمرت الشجرة، وسقط الحجر؛ فقولنا: صلى فلان أو صام، وقتل فلان أو زنى، هو مثل قولنا: أثمرت الشجرة، وسقط الحجر؛ فكلها إسنادات مجازية، من باب إسناد الشيء إلى محله لا إلى حقيقته -كذا زعمت الجبرية.

وقالوا: إن التكليف جبر، والحساب جبر، والثواب جبر، والعقاب جبر، والعبد لا صلة له بهذه كلها سوى أنه محل لها، والفاعل والمريد، هو الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

وقد صور شاعرهم، تكليف الله تعالى للعبد وهو مجبر لا اختيار له، بقوله:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
|  ألقاه في اليم مكتوفًا وقال له  | \* |  إياكَ إياكَ أن تبتلَّ بالماءِ |

يقول الشهرستاني، مصورًا مذهب القوم: "ومنها قوله -يعني الجهم بن صفوان، شيخ الجبرية- في القدرة الحادثة: إن الإنسان لا يقدر على شيء، ولا يوصف بالاستطاعة؛ وإنما هو مجبور في أفعاله، لا قدرة له ولا إرادة، ولا اختيار؛ وإنما يخلق الله تعالى الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات، وتنسب إليه الأفعال مجازًا، كما تنسب إلى الجمادات، كما يقال: أثمرت الشجرة وجرى الماء، وطلعت الشمس وغربت، وتغيمت السماء وأمطرت، واهتزت الأرض وأنبتت... إلى غير ذلك، والثواب والعقاب جبر، كما أن الأفعال كلها جبر، قال: "وإذا ثبت الجبر؛ فالتكليف أيضًا كان جبرًا".

وغير الإمام الأشعري، يقول: "إن الجهم، يرى أن الله خلق للإنسان قوة كان بها الفعل، وخلق له إرادة للفعل واختيارًا له منفردًا بذلك، كما خلق له طولًا كان به طويلًا، ولونًا كان به متلونًا، وهو بهذا يقرب من مذهب المعتزلة". هذا أول مبادئهم، والذي عُرفوا به وتسموا به.

 المبدأ الثاني: القول بأن القرآن حادث مخلوق، كما زعمته المعتزلة أيضًا:

ذلك أن المعتزلة، حين نفت قدم صفات الله، والكلام صفة من صفات الله؛ فإذا كان الكلام، صفة قديمة لله كان القرآن باعتباره كلامًا إلهيًّا قديمًا، وهم ينكرون القدم، إلا على الذات الإلهية وحدها، ومن ثم فلا يكون الكلام قديمًا، ولا تكون صفات الله قديمة، وينبني عليه القول بخلق القرآن.

وبطل فتنة خلق القرآن، كان الخليفة المأمون، الذي تأثر بالمعتزلة وقرَّبهم؛ لأنه كان تلميذًا لأبي الهذيل العلاف -أحد رؤسائهم- وتبنَّى المأمون هذه القضية، يدفع إليها دفعًا رجال المعتزلة، وفي مقدمتهم كبير قضاته، أحمد بن أبي دؤاد، ومن العجيب أن يكون الولد على نقيض أبيه؛ فقد كان الرشيد، ينكر على من يقول بذلك، ولما نادى بشر المريسي بذلك في عهد الرشيد هدده بالقتل؛ الأمر الذي اضطر بشرًا للاختفاء عشرين سنة.

وكان المريسي، تلميذًا لأبي يوسف، تلميذ أبي حنيفة، وقد غضب عليه شيخه لمقالته، وطرده من مجلسه، ونادى المعتزلة آنذاك أن الكلام مخلوق لله تعالى، وأن القرآن كلام الله، فهو بالتالي مخلوق، وتبنَّى المأمون الفكرة، وأصدر منشورًا صوَّر فيه انزعاجه لما أصاب الدين، وما حل بالإسلام من ضرر؛ فتبين عظيم خطره، وجليل ما يرجع في الدين من كفر وضرر.

وضرر ما ينال المسلمين من القول في القرآن بأنه مخلوق، واشتبه الأمر على كثير من الناس، وزينوا للناس أن القول: بأن القرآن مخلوق، إنما هو من باب إفراد الله بالوحدانية، وأن كل شيء دون الخالق يكون مخلوقًا... إلى غير ذلك مما زعمته المعتزلة، وتبعتهم في ذلك الجبرية؛ ليكون هذا المبدأ، واحدًا من المبادئ التي اعتنقتها الجبرية -عليهم من الله ما يستحقون.

المبدأ الثالث: نفي الصفات الأزلية عن الله مشابهين المعتزلة في ذلك أيضًا:

ذلك أن المعتزلة، اعتقدوا أن الله واحد في ذاته، بمعنى: أنه غير مركب من أجزاء، وأنه لا شريك له في ذاته، بمعنى: أنه غير متعدد، وهو واحد في أفعاله، فلا شريك له، ومن هنا، ذهبوا: إلى أن الله تعالى، لا يتصف بصفات زائدة عليه من العلم والقدرة، والإرادة وغيرها، ويرون: أن الله تعالى، عالم بذاته، لا بعلم، وقادر بذاته لا بقدرة، ومريد بذاته لا بإرادة، ومتكلم، بمعنى: أنه خالق الكلام في غيره؛ وذلك لأنهم يرون: أن الله قديم، ولا قديم سواه، وأن القدم أخص صفات الذات الإلهية، فلا يشاركه فيه أحد من خلقه؛ ولذلك نفوا صفات القديم، وزيادتها على الذات الإلهية؛ خوفًا من تعدد القدماء، وتعدد القدماء عندهم كفر؛ ولأن الصفات لو شاركت الله تعالى في القدم، لشاركته في الألوهية، والمشاركة في الألوهية، تتنافى مع الوحدانية والله واحد باتفاق المسلمين -كذا زعموا.

المبدأ الرابع: لا يصفون الباري تعالى، بصفة يوصف بها الخلق؛ لأن ذلك يقتضي تشبيه الله تعالى بالمخلوقين:

ولذلك نفوا وصف الله تعالى، بأنه حيٌّ، عالٍ، سميع، بصير، غني، حكيم، رحيم، ونفوا هذه الصفات عن الله تعالى، وما يماثلها مما يوصف به الخلق؛ فهم يثبتون لله تعالى الصفات بشرطين:

الأول: ألا تكون أزلية، ومن ثم فهم يصفون الله تعالى بالصفات الحادثة.

الثاني: ألا تكون من جنس ما يوصف به العباد؛ فالعباد يوصفون بأنهم أحياء علماء، يسمعون ويبصرون؛ فهذه الصفات، لا يجوز وصف الله تعالى بها عند الجبرية؛ لأن فيها تشبيهًا لله سبحانه بالمخلوقين.

وروي أن جهم بن صفوان، كان يخرج بأتباعه، فيقف بهم على المجذومين، ويقول لهم: انظروا، أرحم الراحمين يفعل هذا؟! ينكر رحمة الله تعالى، كما هو إنكار لحكمته سبحانه.

المبدأ الخامس: نفي رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة.

المبدأ السادس: يؤمنون بأن حركات أهل الخلدين -الجنة والنار- تنقطع، وأن الجنة والنار، تفنيان بعد أن يتنعم أهل الجنة، ويتعذب أهل النار المدة التي قدرها الله تعالى، وقد استدلوا على فناء الجنة والنار، وفناء النعيم والجحيم، بقوله تعالى في أهل الجنة وأهل النار:{ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹﯺﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎﰏ} [هود: 107، 108].

فقد حملوا الخلود في الآية الكريمة، على المبالغة والتأكيد، أو على طول المدة، واستشهدوا على فناء الخلدين، بأن الآية التي معنا اشتملت على شرط: { ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ } واشتملت على استثناء: { ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ } والخلود الدائم الذي لا ينقطع لا شرط فيه، ولا استثناء، ويستدلون على ذلك: بأنه تعالى، حيث كان أولًا ولا شيء معه، فيجب أن يكون آخرًا ولا شيء معه.

المبدأ السابع: أن الإيمان عند الجهمية، يتحقق بمجرد المعرفة، حتى ولو لم يقر باللسان أو جحد اللسان؛ فمن عرف بقلبه، فهو مؤمن، حتى لو أنكر وكفر بلسانه، وعلى هذا يلزم القول: بأن كفار مكة مؤمنون؛ لأنهم يعرفون صدق رسول الله فيما أخبر الله عنه: { ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ } [الأنعام: 33]، فهم هنا كانوا يعرفونه بقلوبهم؛ لكنهم يكذبونه بألسنتهم؛ عنادًا واستكبارًا، كقوله سبحانه: {ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ } [النمل: 14].

فأخبر القرآن الكريم، أن المشركين كانوا يعرفون صدق رسول الله ولكنهم كانوا يكذبونه بألسنتهم؛ وحسب مبادئ الجبرية، فهؤلاء المشركون مؤمنون؛ لأنهم حصَّلوا المعرفة، وجحدوا بألسنتهم، وهذه مخالفة صريحة منهم لكتاب الله تعالى، وسنة رسوله وإجماع الأمة.

 والإيمان في نظر الجبرية لا يتبعض، بمعنى: أنه لا ينقسم إلى اعتقاد، وقول، وعمل، ولا يتفاضل الناس فيه.

المبدأ الثامن: أن المعرفة تجب بالعقل قبل ورود السمع؛ إذ أن العقل يمكنه معرفة الخير والشر، ويمكن أن يصل إلى معرفة ما وراء الطبيعة والبعث... ونحن أمام أقوال الجبرية هنا، نجد الكثير من الاتفاق مع المعتزلة في مبادئهم.

المبدأ التاسع: ينكر جهم، أن يكون الله تعالى على العرش، أو أن له كرسيًّا، أو أن يكون في السماء دون الأرض؛ بل الله في نظره في كل مكان.

المبدأ العاشر: ينسب إلى جهم، أنه أنكر أمورًا في الآخرة أو تأولها؛ حيث تأول الميزان، والصراط، وملك الموت، وعذاب القبر، وأنكر منكر ونكير، وأنكر الشفاعة، فهو ينكر ما اقتصر وروده على الحديث، ويؤول ما ورد ذكره في القرآن الكريم.

لكن هذا المذهب لم يستمر طويلًا؛ بل كتب الله له الفناء والانتهاء؛ وذلك لأنه مذهب لا يسير مع العقل، ولا يتفق مع الوارد في النقل، فهو لم يتمسك بالنصوص الشرعية، فيسلم بما ورد فيها من صفات الله تعالى؛ إنما نفاها خوفًا من مشابهة الله لخلقه، ونفى كثيرًا مما ورد في أحوال الآخرة، من الصراط، والميزان، والشفاعة وغيرها؛ لمخالفتها للعقل في نظره، ولم يساير العقل، ولم يَسِر على مقتضاه؛ فلم يثبت حرية العبد واختياره في تصرفاته؛ حتى يمكن محاسبته، ومجازاته على أفعاله؛ إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر؛ وإنما يذهب إلى أن العبد مجبور على الفعل، وغير مختار فيه؛ فكيف يحاسبه الله تعالى على فعله هذا؟!.

ولما كان هذا المذهب، مضطربًا في آرائه وقواعده؛ فلم يساير العقل، ولم يوافق على ما جاء به النقل، كتب له الفناء وعدم الاستمرار، وكان لهذا المذهب، الأثر الواضح في مذهب المعتزلة في نفي الصفات، وخلق القرآن. أقول: "وإن انتفى المذهب كمذهب؛ لكن آثاره متبقية؛ فكثير من المبادئ والآراء التي قال بها أهل الجبر، لا تزال موجودة في واقعنا؛ ومن ذلك وجود فكرة الجبر عند كثير من الناس، يبررون بها أخطاءهم وتقصيرهم؛ فعندما يخطئون، يقولون: قضاء وقدر، ولمن طُلب منه أن يطيع الله، يقول: حتى يهديني الله، أو حتى يريد الله... وما أشبه ذلك.

كذلك نجد ضلالًا كبيرًا في مفهوم الصفات، أو تعطيلها، أو تأويلها، على نحو ما ذهبت إليه الجبرية، والمعتزلة.

والزعم بأن الله تعالى في كل مكان، زعم شائع بين عوام المسلمين، ونفي استواء الله على عرشه، ونفي العلو عنه معتقد المتأولة من الأشاعرة، والماتريدية، ومن سلك مسلكهم، وهم في الناس كثير، وكذلك مما تبقى من أفكار هذه الجبرية، والمعتزلة، وجود طبقة مثقفة تقدم العقل على النص، وتؤوِّل في كتاب الله تعالى، وتنكر السنة، ومنهم من أنكر الشفاعة، ومن أنكر عذاب القبر، ومن تأول الميزان، والصراط، على نحو ما ذهبت إليه الجبرية، وكذا المعتزلة، ومن نحا نحوهما -ولا حول ولا قوة إلا بالله.

**المراجع والمصادر:**

1. **أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، 1389هـ**
2. **عواد بن عبد الله المعتق، المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها ، الرياض، مكتبة الرشد، 1417هـ**
3. **الدكتور صابر بن عبد الرحمن طعيمة، دراسات في الفرق ، الرياض، مكتبة المعارف، 1408هـ**
4. **عبد القاهر بن طاهر البغدادي، الفَرْق بين الفِرَق ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، المعرفة للطباعة والنشر، 1976م**
5. **محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، 1395هـ**
6. **علي سامي النشار، نشأة التفكير الفلسفي في الإسلام ،القاهرة، دار المعارف، 1981م**
7. **عبد الرحمن عميرة، المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منه ، بيروت، دار الجيل، 1405 هـ**
8. **مصطفى الشكعة، إسلام بلا مذاهب ، الدار المصرية اللبنانية، 2004م**
9. **إحسان إلهي ظهير، القاديانية دراسات وتحليل ، الرياض، طبع ونشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء، 1404هـ**
10. **أحمد محمود صبحي، في علم الكلام: دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين ، مؤسسة الثقافة الجماعية، 1982م**
11. **عبد القادر بن حبيب الله السندي، التصوف في ميزان البحث والتحقيق ، المدينة المنورة، مكتبة ابن القيم، 1410هـ**
12. **محمد عبد الهادي المصري، أهل السنة والجماعة معالم الانطلاقة الكبرى ، الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1409هـ**
13. **الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، إشراف ومراجعة: مانع الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، 1418هـ**